

جون جاك روسو: قراءة في ثقافة الأنوار وسؤال التفاوت بين البشر

Jean Jacques Rousseau:

Reading into the culture of enlightenment and the question of the
(differences between humans

نجمة بوضوار* - أستاذة محاضرة

العلوم الإجتماعية- جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

البريد الإلكتروني nedjema_b@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2020/06/30

تاريخ القبول: 2020/05/17

تاريخ الارسال: 2020/04/07

ملخص :

نقد روسو للحدثة وتشخيصه لواقع الإنسان و وضعه في عمق الثقافة الغربية في القرن الثامن عشر، و خلخلته للواقع الفكري و الاجتماعي والسياسي و الفلسفي للأنواريين، يجعله مخالفا لمبادئ عصره ، و ان اعتبره البعض كواحد من أعداء التنوير كأولئك الأرستقراطيين ورجال الدين الذين أعلنوا عداؤهم الشديد للتنوير بغية الإبقاء على سلطتهم ، إلا أن روسو لم يكن من هؤلاء المحافظين ، بل كان على عكسهم يود تفجير الوضع المزري بدل الإبقاء عليه ، في مشروع فلسفي راديكالي أكثر تنويرا .

Abstract

Rousseau had criticized modernity by diagnosing the depth of human reality in Western culture in the eighteenth century; He had also destabilized the intellectual, social, political and philosophical reality of the Enlightenment. His efforts had shown him in the opposition of the principles of his time, however some thinkers considered him one of the Enlightenment enemies such as the aristocrats and clergy who declared their hostility to this new era, in

* د. نجمة بوضوار

order to conserve their authority and benefits. Therefore, Rousseau was not such a conservative, but was, unlike them, trying to blow up the defunct situation in a more radical and enlightening philosophical project.

مقدمة

كان الفيلسوف جون جاك روسو يتعثر بين نجاح وفشل، كغيره من أفراد مجتمعة معانينا من أشد معالم اللااستقرار والإغتراب كنمط حياتي لم يسبق له مثيل، لقد استطاع روسو أن يحدثنا عن كل معاناته كإنسان وخطاباته كلها عبّرت عن ذلك الهم والقلق الوجودي الذي عاشه الإنسان عبر تاريخه الطويل، خطاباته كلها انعكاس لتجربة فيلسوف عبّر بقلم بارع متمكن، الفيلسوف الأنواري العقلاني المنقلب على الأنوار ليؤسس فلسفة غيرت طابع عصره بأكمله، فلسفة تقرّ بطيبة الإنسان وبراءته، منتقدا العلوم والفنون التي ان ازدهرت بدون ضابط، ضارة أكثر مما هي نافعة¹، وان تفضيل المعرفة على السعادة غيّر وغرور، وأن الإعتماد على منفعة الفرد لتحقيق الصالح العام خطأ واضح، فكتب من قلب عاصمة العلم والذوق بأسلوب عنيف بليغ يولي الفكرة إلى القلب قبل العقل، فلسفته كانت ضربة في صميم البرنامج التنويري لينتقد الثقافة والتكلف و ينتصر للعفوية والبراءة، خطابات روسو تثير الكثير من الحس الإنساني فينا، لا لشيء فقط لأن معانات الإنسان متجددة عبر العصور، وهاهو عصرنا لا يخلو من شتى أنواع الاستبداد والقوانين الجائرة، التفاوت، والتطرف، و التطور التكنولوجي على حساب الفرد، التقنية والتشيؤ، هل هذا هو

¹ - روسو جون جاك - دين الفطرة، تر" عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 2012، المغرب، ص 7

الإنسان ، كيف يمكننا تبرير التفاوت بين الأفراد في حالة الثقافة والتحضّر ؟

روسو والأنوار

أضحت مؤلفاته جون جاك روسو مرآة حقيقية على مر العصور، وبينما كان روسو هاربا من باريس بعدما مكث بها طويلا، وفي طريقة لزيارة صديقه الفيلسوف " دنيس ديدرو * D.diderot"، الذي شارك معه في تأليف الموسوعة الكبرى آنذاك " الأنسكلوبيديا"، اذ كان ديدرو في هذه الأثناء بالسجن بـ " ديجون " •، " Dijon " الريفية، لأسباب ليست ببعيدة الصلة عن الاتجاهات الفكرية والثقافية والأدبية والمادية الظاهرة في كتاباته المتمردة وهذا ما ربط بينه وبين روسو وفولتير

فتح روسو مجلة " ماركيير دي فرانس " " Mercure de France"، اذ وقعت عيناه على إعلان مسابقة عرضته أكاديمية ديجون، الفرنسية، ويقول روسو في كتابه الاعترافات: " ولما كانت حالي المادية لا تسمح بالسفر بالعربات فقد قمت بالرحلة سيرا على الأقدام " وكنت أعتقد أن وجود مجلة في يدي قد يساعد على التريث في خطاي، واخترت لذلك المجلة هذه، وأثناء سيرتي

* هوفيلسوف، وكاتب فرنسي، وموسوعي فرنسي، وهو أيضا كاتب مسرحي وكاتب مقالات وفي. من أب حرفي، برز بإشرافه على إصدار "موسوعة الفنون والعلوم والحرف" وتحرير العديد من فصوله. من قادة حركة التنوير. رئيس تحرير أول موسوعة حديثة، إنسايكلوبيدي Encyclopédie.

• - سجن ديدرو عقابا له على فقرات مهيبة في كتابه، " رسائل المكفوفين " Lettre sur les aveugles " اذ الذي شارك روسو في الرأي في أن المجتمع يقمع الإنسان ويستعبده، وظهرت لديه في هذه المرحلة المبكرة من حياته ملامح المذهب الألوهي déisme، مما أدى إلى ملاحظته وسجنه فترات طويلة

وصلت إلى قراءة سؤال الأكاديمية حيث كان السؤال كالتالي: هل ساعد تقدّم العلوم والفنون على " إفساد الأخلاق أو على تطهيرها؟"²

ويواصل روسو قائلاً " وما ان وصلت لهذه لعبارة حتى خيل إليّ أنّي أرى عالماً آخر، كما لو" قد تحولت لشخص آخر، وما أن وصلت إلى فانسين، بلغ بي الانفعال حداً قريباً من الجنون، - وقد لمس ديدرو ذلك، وعندما سألتني السبب ووضّحته له، وقرأت عليه ما كنت قد كتبتة بقلبي وأنا جالس بعد قراءة الإعلان عن المسابقة بعدما عجزت عن السير لصعوبة التنفس، وقضيت نصف ساعة في حال انفعال شديد، فلکم تمنيت لو أتيح لي أن أكتب ربع ما رأيت وأحسست في هذه اللحظة، فبأي وضوح كنت سأमित اللثام عن كل تناقضات نظامنا الاجتماعي، بأي بساطة كنت أبيّن أن الإنسان بفطرته خير، وإن نظمنا هي التي جعلته شريراً"³

لقد كان هذا الموضوع نقطة تحوّل هامة جداً في مسيرة تفكير جون جاك روسو، حيث أنه أصبح الآن في وسعه أن يسكب سخطه في هجوم على تكلف باريس وتصنعها، وفساد أخلاقها وزيف سلوكها، وإباحية أداها وشهوانية فنها وتعالى طبقيتها، وسفه أغنياءها الغليظ الذي تموله ابتزازاتهم من الفقراء.

لقد تسنى له انتقاد جفاف الروح، بحلول العلم محل الدين والمنطق والوجدان، إنه بإعلان الحرب على هذا الانحلال يستطيع أن يبرز بساطة الإنسان وثقافته وعاداته الريفية وقلقه وضيقه في المجتمع، ونفوره من

² - يوسف عقيل عيدان، التنوير في الإنسان " شهادة جون جاك روسو"، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009، بيروت، لبنان، ص 28

³ - ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، " روسو والثورة"، ترفؤاد اندراوس، ج 1، مجلد 10، دط،، دت، بيروت، لبنان، ص 38، 39

النميمة ومسارح الفكاهة التي تجرّدت من الاحترام، ويبرر احتفاظه بالتحدي بإيمانه الديني وسط إلحاد أصحابه.

لقد عاد في أعماقه " كلفينيا " * كمان كان، وعاد بالحنين إلى تلك العفة والبراءة التي نشأ عليها في صغره، وبدخوله المسابقة سيرفع بلده " جنيف " فوق " باريس " وسيشرح لنفسه وللإنسانية جمعاء كم كان سعيدا في "ليشارميت" • وكم أصبح شقيا للغاية في صالونات باريس⁴.

لقد ثار روسو من خلال مؤلفاته على التصورات الشريفة أثناء عصره من خلال انتقاده لكل الأنظمة القائمة آنذاك، لا سيما النظرة التشاؤمية التي كانت سائدة منذ القدم، والتي مفادها أن الإنسان شرير بطبعه ويجب رده عن طريق إيجاد سلطة معينة، هذا التشاؤم هو الذي سيحل روسو محله تفاقولا هو كل دعامة فلسفة ونظرياته .

وقد بدت معالم ذلك من خلال خطابه الأول في العلوم والفنون، وسيستطرد بعد ذلك إلى مسائل أخرى تمثلت في تحليله لمسألة التفاوت الجماعي، ومسألة التربية الطبيعية البشرية، بعد أن أصبح مفهوم الإنسان مرتبط بمفاهيم سلبية تحد من قدراته كإنسان ووقوعه في مغالطة أنه شرير بطبعه، لذلك كان لزاما عليه أن يستكمل مشروعه النقدي للثقافة الأنوارية بوضع أسس جديدة للمجتمع بخطابات وبأساليب تتناسب وهذه الأوضاع الثقافية للعصر.

الكالڤينية (والمعروفة أيضاً باللاهوت المصلح) هي مذهب مسيحي بروتستانتي يعزى تأسيسه للمصلح* الفرنسي جون كالفن، وكان هذا الأخير قد وضع بين عامي 1536م و1559م مؤلفه (مبادئ الإيمان المسيحي) والذي يعتبره الكثيرون من أهم ما كتب في الحركة البروتستانتية.

أحد الأماكن الريفية التي كان يجيها روسو جدا •

⁴ - المرجع نفسه، ص. 39

-لقد أظهر روسو من خلال موقفه من عقل الأنوار سخطه على الشكل الأخلاقي والاجتماعي والسياسي للحياة الأوروبية في القرن الثامن عشر والتي رأى فيها حياة مؤسسة على الزيف الأخلاقي واللامساواة السياسية والانفصال بين طبقات المجتمع، وبذلك فإن موقف روسو من العقل هو أحد تجليات العقل المستنير المدرك لإمكاناته المعرفية القائم على النقد والتجاوز.

سؤال التفاوت بين البشر

لقد كان ما اختتم به روسو خطابه في العلوم والفنون كمقدمة لمعالجة إشكالية ثانية، وبعد أن نظر لها روسو طرحها أكاديمية ديجون، فكان السؤال الجديد "ما أصل التفاوت بين البشر؟ وهل يُقره القانون الطبيعي؟"⁵، وكان ذلك نتيجة للجدل الذي أثاره روسو خلال مظهر الطبيعة البدائية الطبيعية للإنسان الذي سيفسد ومظهر اللامساواة التي اعتبرها المصدر الأول للشر، ولقد تلقى روسو سؤال الأكاديمية الثاني هذا بشيء من الحماسة بعدما نال جائزة السؤال الأول إذ يقول في اعترافاته "لقد كان ألف نور بيهرروحي ويملي علي جوابه الذي رأت فيه أكاديمية ديجون فضيحة"⁶.

فاستهل روسو خطابه "أصل التفاوت بين الناس" بما وجهه إلى جمهوريته "جنيف" كمدخل حاول أن يميز من خلاله بين التفاوت الطبيعي، الذي يتطلب تفسيراً طبيعياً والتفاوت الاجتماعي الذي يتطلب الكشف عن أسبابه، مشيراً على ما يصبو إليه من خلال هذا العمل، فلقد تساءل روسو عن كيفية معرفة مصدر اللامساواة بين البشر، إن لم تتمكن من معرفتهم

⁵ - روسو جون جاك، "أصل التفاوت بين الناس"، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت- لبنان، دط، سنة 1972، ص9.

⁶ - روسو جون جاك، "الاعترافات"، ترجمة خليل رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، دط، بيروت-لبنان، 1982، ص366.

بالذات ؟ كيف يتوصل الإنسان إلى معرفة نفسه كما كان يوم برته الطبيعة رغم جميع التغيرات ومن خلال كل التطورات التي أحدثتها في تكوينه وفي بنيته الأصلية تعاقب الأزمان وتقلبات الأشياء ؟ بل كيف يمكنه أن يميز بين ما قد اتصل به من أساس تكوينه الخاص وما قد أضافته إلى حالته البدائية، أو بدّلته فيها ظروف الأحوال ووجوه ارتقائه؟⁷

وبعد المدخل الذي وجهه روسو إلى جمهورية جنيف والإشادة بها، وضع روسو مؤلفه ضمن جزأين هامين تتلوهما بعض التعليقات.

وقد تضمن **الجزء الأول** من كتابه وصفا مفصلا للإنسان وما يتميز به من قوة وصلابة، إذ كان يعتمد على نفسه وعلى عضلاته فأصبح أكثر مناعة ضد الأمراض من الرجل المتمدن، وهو سليم أخلاقيا لأنه لا يتبع إلا فطرته ورغباته، لقد كان يجهل المعاناة العاطفية ولا يعي الخوف والحذر من المستقبل الذي يهدد الإنسان اليوم، ولا يُكِنّ أي شيء من الخبث، ففي هذه الحالة لا تأثير للتفاوت الطبيعي، إذ كان التفاوت شبه متلاش فروسو يميز لنا بين نوعين من اللامساواة: تلك التي يسميها **طبيعة** فيزيائية، وتلك التي يدعوها **أخلاقية** أو سياسية

فالأولى تقيّمها الطبيعة وتكمن في الاختلاف في الأعمار والقوى والصحة وخصال الروح أو النفس، والثانية تتجلى في مختلف الامتيازات (الغنى، المراتب الشرفية، القدرة، السلطة) التي يتمتع بها البعض على حساب الآخرين⁸. فلقد حاول روسو من خلال "الإنسان التاريخي" أن يعود بنا إلى الإنسان البدائي والذي رأى أنه خير "Bon"، لأنّ فعاليته المحدودة لا تمكنه من فعل الشر، والفعالية هنا تعني عدم بلوغ النضج الكافي للوعي حتى يمكن

⁷ - روسو جون جاك، "أصل التفاوت بين الناس"، ص 26.

⁸ - المصدر نفسه، ص 34.

أن نصف فعله يهدي قدرته على التمييز واتخاذ الموقف، إذ أن إنسان الطبيعة يعيش حياة ساذجة حيث يكون العامل الأخلاقي وهو عامل معياري غائب أو ما يُعبّر عنه بالفرنسية "Amoral" وأحيانا "Prémoral" ومن ثم لا يوجد صراع توتر بين ما هو كائن أو الواقع والمعياري أو الحق "droit" مما يستلزم عنه غياب تام للتمييز بين الخير والشر.⁹

فالإنسان لم يكن بإمكانه إلا بعد قرون من الزمن الخروج من حالته الطبيعية وبالتالي كان خروجه إلى الشقاء، فمن المسؤول إذن عن ذلك؟ أهى الطبيعة بحد ذاتها؟ يثير روسو هذا الإشكال قائلا: "إذن أود أن اعرف وأن يُشرح لي نوع الشقاء الذي يحسه كائن جد مستريح القلب صحيح الجسم، كما أود أن أسأل: أي الحياتين، المدنية أم الطبيعية هي الأكثر تعرضا لأن تصبح عبئا لا يطاق على الذين يتمتعون بها؟...لنرى في أي الحياتين يستقر الشقاء الحقيقي؟"¹⁰.

ففي ظل هذه السذاجة وغياب المعايير فإن الإنسان البدائي يجهل شيئين هامين هما "العمل والتفكير" Le travail et le réflexion لأن رغبات الإنسان البدائي لا تتعدى حاجاته البيولوجية فهو لا يستطيع أن يتخيل وحياته العاطفية لا تطلب منه شيئا، وحاجاته الأنية يكون إشباعها في متناوله، ونظرا إلى معرفته المحدودة فهو لا يستطيع أن يحصل على حاجات أكثر من هذه Modiques besoins مما يجعله فاقد للفضول أو لتوقع الأشياء"¹¹.

⁹ - هني خديجة، ضمن "التنوير ومساهمات أخرى"، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، فرع جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر، 2002، ص 251.

¹⁰ - روسو جون جاك، مصدر سابق، ص 62.

¹¹ - هني خديجة، مرجع سابق، ص 252.

فالعقل هو الذي جعل الإنسان يشقى وجعله أنانياً، بينما الطبيعة جادت على النوع الإنساني بكل ما افتقده في حياة التمدن، والتفكير أصبح يقوي تلك الأخلاق الفاسدة التي اكتسبها الإنسان، فأصبحت حال الإنسان أشد من حالته في الطبيعة التي تسودها بعض المخاطر، "فالعقل هو الذي يدفع الإنسان للانطواء ومشاورته لنفسه، ويباعد بينه وبين ما يزعجه أو يحزنه، والفلسفة تجعله منعزلاً، كما تجعله يقول سرا عندما يرى رجلاً يتعذب: "اهلك إن أردت، أنا في مأمن"¹²، حيث كل فرد لا يفكر إلا في نفسه وفي مصالحه.

وعلى الرغم من أن العديد ممن استبقوا روسو في مفاهيم حالة الطبيعة البدائية والحقوق الطبيعية إلا أن روسو جاء برؤية جديدة من خلال مقارنته بين إنسان الطبيعة وإنسان التاريخ، واختلف روسو في ذلك عن توماس هوبز وما وصف به الحالة الطبيعية* وكل ما تتصف به من حالة رعب وخوف وحروب وقوة، فالإنسان خير بطبعه، فاضل، لا يعي شيئاً عن مفهوم الحق، وبالتالي فإن حرب الجميع ضد الجميع، في هذه المرحلة التي أقر بها هوبز لا وجود لها، "يجب أن لا نستنتج أن ما استنتجه الفيلسوف هوبز الذي ذهب إلى أن الإنسان شرير بطبعه لأنه ليس لديه أية فكرة عن الطيبة وأنه فاسد لأنه لا يعرف الفضيلة... وأنه يتصور عن حماقة أنه وحده ملك العالم بمقتضى الحق الذي يدعيه صواباً لنفسه في امتلاك الأشياء"¹³.

حاول روسو أن يبين الاختلاف بين الحيوان والإنسان، فهذا الأخير يتميز بالحرية وبوعيه التام بهذه الصفة، فلإنسان القابلية لبلوغ الكمال،

¹² - روسو جون جاك، "أصل التفاوت بين الناس"، ص 67.

* - تطرقنا لذلك في مبحث سابق.

¹³ - روسو جون جاك، المصدر نفسه، ص 61 - 62.

بينما الحيوان بقي وسيبقى على ما هو عليه مشيراً بذلك روسو إلى هذه الخاصية قائلاً: "تلك هي خاصية التدرج في الاكتمال، وهي التي تنهي جميع الخصائص الأخرى بتتابع وبمواتاة ظروف الأحوال"¹⁴.

فقابلية الكمال هذه هي التي حذرنا منها روسو لأنها قدرة غير محدودة، ستكون كمصدر للشرور والمشاكل التي يعاني منها الكائن البشري فيما بعد لأنها ستزعه من وضعه الأصلي (حالته البدائية) وتظهر الإنسان المتمدن إنسان التاريخ أو بعبارة أخرى ستنبثق منها "اللامساواة" وهذا ما جعل روسو يختتم الفصل الأول من خطابه هذا ممهداً بذلك للفصل الثاني قائلاً: "أما وقد أتممت الدليل والبرهان على أن التفاوت يكاد لا يكون محسوساً في حالة الطبيعة وأن أثره فيها يكاد يكون معدوماً، فقد بقي علي أن أبين أصله ومدى تعاضله في أدوار تكامل العقل الإنساني المتتابعة"¹⁵.

كيف حدث التفاوت تاريخياً

حاول روسو أن يبين لنا كيف تكوّن إنسان التاريخ عبر الزمن، بعد أن تجمّع الناس بشكل عائلات بمناطق مختلفة، إذ بقي كل فرد مستقلاً، ثم أقام علاقات متبادلة بعد أن تم اكتشاف الزراعة والصناعة والمعادن وتم تقسيم العمل، لكن كل ذلك أدى إلى نشوء ما يسمى بالملكية الفردية وما نتج عنها من فروقات اقتصادية وسياسية واجتماعية إذ كانت السبب الرئيسي للامساواة في الحياة البشرية، فاستهل روسو هذا الفصل قائلاً: "إن أول من سوّر أرضاً فعنّ له أن يقول: هذا لي، ووجد أناساً على قسط كبير من السداجة فصدقوه، كان المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني، ألا كم من جرائم وحروب واغتيالات، وكم من ويلات وبؤس وفضائح كان أبعدها عن

¹⁴ - المصدر نفسه، ص 50.

¹⁵ - المصدر نفسه، ص 75.

الناس وكفاهم شرها، رجل قد هبَّ فاقتلع الأوتاد أو ردم الحفرة وصاح بالناس قائلاً: حذار أن تصغوا إلى هذا الدجال المحتال فإنكم لهالكون إذ أنتم نسيتم أن الثمار للجميع وأن الأرض ليست ملكاً لأحد"¹⁶، وإذ عدنا إلى التاريخ نجد حسب روسو أن الإنسان بدأ يفقد حرّيته وبدأ يظهر التفاوت على مراحل مختلفة:

أ- كانت أولى تلك المراحل أين امتلك فرداً ما لأول مرة شيئاً ولم يجد رادعاً له يبيّن له أن هذا ملك للجميع.

ب- ما أوجده قرار الملكية من فقراء وأغنياء (للمساواة)، إذ تمكن الغني من فرض سلطانه وقوانينه على الفقراء فكان ذلك أول ما تأسس عليه المجتمع المدني، "ذلك ما كان أو يجب أن يكون أصل المجتمع والقوانين والتي مهّرت الضعيف بقيود جديدة والغني بقوى جديدة، فقضت على الحرية الطبيعية قضاءً مبرماً وثبّتت قانون التملك والتفاوت إلى الأبد"¹⁷.

ج- وآخر مرحلة عندما يستغلون الحكام سلطتهم وقيمون العبودية في المجتمعات، فتتحول السلطة من سلطة شرعية إلى سلطة استبدادية، يتهبأ للمواطنين أن إخلالهم لهذه القوانين قد يعرّضهم لما لا يحمد عقباه، فنشأت واجبات أدب بين الطبقتين تحاشياً لذلك، فلا يمكن أن تكون سلطة كهذه أساساً للمجتمع، فالمستبد استغل الاضطرابات والثورات التي جاءت نتيجة للإقرار بالملكية الفردية، حتى يدوس على القوانين والشعب، "فيفترس ما تقع عليه عيناه من صالح وسليم في جميع أجزاء الدولة، حتى يتوصل في آخر

¹⁶ - المصدر نفسه، ص 79.

¹⁷ - المصدر نفسه، ص 96.

الأمر إلى دوس القوانين والشعب وإلى إرساء كيانه على أنقاض الجمهورية وتكون الأزمنة التي تسبق هذا التبدل الأخير أزمنة اضطرابات وويلات"¹⁸.

وبعد هذا التتابع في الأحداث والتي يتلخص فيها القسم الثاني وما انجرَّ عن اختراع الصناعة واستخراج المعادن وخدمتها للزراعة وما أدت إليه نتائجها، فلقد تمدن الإنسان لكنه قد ضاع فأخرج البشر من الحالة التي يصفها روسو بالسعيدة، حيث كانت "الطبيعة تصرِّح بأنها قد جادت على النوع الإنساني بأرق القلوب إذ هي جادت عليه بالدموع"¹⁹، حيث تحدث بنوع من **الحنين** لأن ذلك العصر كان الأكثر سعادة والأكثر بقاء أو الأكثر تعرضاً للانقلابات²⁰.

راح روسو يتأمل إلى أي حد وصلت اللامساواة في عصره وكنتيجة لأي سبب، لكنه أيقن أن مرد ذلك كله إلى السلطة، "إن هذه السلطة إذ هي بطبيعتها غير شرعية، لا يمكن أن تكون أساساً لقوانين المجتمع، وبالنتيجة للتفاوت في النظام"²¹، ولذلك وجد روسو أنه من الواجب عليه الخوض في بحوث أخرى، لتبيان طبيعة القانون الأساسي للحكومة باعتبار أن هذه الهيئة السياسية عقداً بين البشر، فبعد أن أعاد النظر في التفاوت الاجتماعي قرر وضع أسس جديدة لعقد اجتماعي جديد سيدعمه لاحقاً بأسلوب تربوي يتناسب وهذه الأوضاع، فاختم روسو خطابه قائلاً: "ويعين هذا التمييز بما فيه الكفاية ما يجب أن يكون عليه تفكيرنا في هذا الصدد

¹⁸ - روسو جون جاك، "أصل التفاوت بين الناس"، ص 112.

¹⁹ - المصدر نفسه، ص 66.

²⁰ - شوفالبيه جون جاك، "تاريخ الفكر السياسي-من المدينة الدولة إلى الدولة القومية"، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1998، بيروت-لبنان، ص 481.

²¹ - روسو جون جاك، المصدر نفسه، ص 104.

حول نوع التفاوت السائد بين الشعوب المتمدنة، إذا أيا كان الوجه الذي نعرّف به ناموس الطبيعة، فإنه من مظاهر معاكسة هذا الناموس الصارخة أن يحكم ولد شيخا وأن يقود غبي رجلا حكيمًا، وأن تنعم شرذمة من الناس بوفرة من الزوائد بينما الجمهور الجائع يفتقر إلى الضروري"²²

خاتمة :

نال روسو جائزة مسابقة ديجون المتعلقة بخطاب في العلوم والفنون ، ونال أشد الاضطهاد و مصادرة مؤلفاته بعد تقدمه لسؤال الأكاديمية الثاني حول أصل التفاوت بين الناس ، إلا أنه قرر استكمال بحثه هذا بكتابه " العقد الاجتماعي " كأضح مشروع سياسي متعلق بنظام حكم يتوافق مع طبيعة البشر ، مبني على العدل والمساواة و بإمكانه حفظ حرية وكرامة الإنسان منتشلا إياه من شتى أشكال الرق والعبودية ، و القوانين التي تتناقى مع مبدأ خدمة الصالح العام ، لقد ناضل روسو طوال مسيرة حياته ، محاولا تصحيح مسار الإنسانية بعقل مشدود بالعاطفة و بالحس الإنساني بفلسفة متعددة ثاقبة ، جعلت منه السياسي والمصلح و الأديب و المرابي و المبدع ، حتى وان أعجب أغلب الفلاسفة بخطاباته إلا أنهم فضلوا أن يروا في " الانفصال عن الأنوار " مجرد تطبيق لمبدأ المخالفة ، لكن هاهنا تكمن المفارقة البليغة بنعت خطاباته بهذا التأويل الذي شاركهم فيه الأرسقراطيين ، لأن روسولم يخرج عن البنية الفكرية لبراديغم العصر من الناحية البنيوية لفكره ، اذ لم يكمل ذلك التأويل سوى تعبيرا عن افتتانهم بالمؤلف دون أن يدركوا أنه كان يعبر عن ميول عميقة في جمهور غير

²² - المصدر نفسه، ص 116.

المثقفين²³، وأن الشعب على العموم لا يأبه للعلم والفن بقدر ما يهتم بالعدل والمساواة وبساطة العيش وتلقائية العلاقات الإجتماعية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- روسو جون جاك، "الاعترافات"، ترجمة خليل رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، دط، بيروت لبنان، 1982
- روسو جون جاك - دين الفطرة، تر " عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2012
- روسو جون جاك، "أصل التفاوت بين الناس"، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت- لبنان، دط، سنة 1972
- الكتب:
- يوسف عقيل عيدان، التنوير في الإنسان " شهادة جون جاك روسو"، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009، بيروت، لبنان
- ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، " روسو والثورة"، ترفؤاد اندراوس، ج 1، مجلد، 10، دط،، دت، بيروت، لبنان،
- شوفالييه جون جاك، "تاريخ الفكر السياسي-من المدينة الدولة إلى الدولة القومية"، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، 1998

²³ - روسو جون جاك - دين الفطرة، مرجع سابق، ص 8

-المقالات في المجلات:

- هني خديجة، ضمن "التنوير ومساهمات أخرى"، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، فرع جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر، 2002